رجالهم ونساؤهم كبارهم وصغارهم والأشبال إنتبه أشرف على أصوات مكبرات المساجد تنادي من كل إتجاه حي على الجهاد تميز فيها بصورة خاصة مسجد الأيبكي على بعد عشرات الأمتار فقط غربي البيت وإذا بالمنطقة كلها تشتعل نارا هاج الناس وماجوا وتدافعت جموعهم عبر الأزقة إلى الشوارع والطرقات وإذا بالاف الجبهات تفتح في كل مكان لتنهال الحجارة القاضية على رؤوس جنود الاحتلال ، في صباح أحد الأيام المشرقة الهدوء يخيم على المنطقة قبيل الساعة السابعة بقليل فاذا ما إقتربت عقاربها من السابعة بدأت الحركة في الظهور وارتفعت الأصوات تدريجيا إذ بدأ الطلاب في التوجه لمدارسهم فرادى وجماعات حملت حقيبتي وخرجت باسما لليوم الجديد متجها للمدرسة إلى يافا الثانوية وعلى الوجوه من حولي إبتسامات مشرقة لليوم الجديد وقبل أن يدق الجرس جرس طابور الصباح بدأت أحس أن حركة غريبة في فناء المدرسة الطلاب يتهامسون ماذا حدث ووصل إلى أذني همسة من صديق يجب أن يكون لنا دور في الأحداث مدرسة يافا يجب أن تقف وقفتها اللائقة يجب أن تخرج في مظاهرة عنيفة ونفتح مواجهات شرسة في المنطقة وتحولت الابتسامات فجأة إلى نظرات إصرار وعزيمة إستعداد وتحفز وبدأ الهتاف الخالد بسم الله الله أكبر بسم الله قد حانت خيبر وقصفت أصوات الطلاب الهادرة في الفناء وخفقت القلوب وداعب الهتاف شغافها فازدادت حدة النبض وتدفق الدم للعروق حارا غزيرا وانفعلت واغرورقت عيناي بالدمع الساخن أحاسيس عجيبة

كانت تغمرني وأنا أهتف من أعماق قلبي من وسط الجمع الهادر أخذتني الذكريات بعيدا لبئر السبع لأيام العز والدلال لساق الجد لسمع الجدة للبيت الذي تهدم ورجعت بي للمسيرة الهادرة وللصدور المزمجرة صدور الفتيان ستة عشر عاما تغلي بالحماس وحب المجد والعزة تقدمت الجموع قليلا قليلا متجهة عبر شارع السدرة أمام البوابة الرئيسية للمدرسة وفجأة ظهرت سيارات جيش العدو وهناك بعيدا توقفت ونزل الجنود وتمترسوا بسياراتهم وراء الجدران والزوايا وبدأوا بصورة محمومة باطلاق النار وقنابل الغاز وكان لزاما علينا أن نفترق ونأخذ مواقعنا لنتحصن من الرصاص وتبدأ فقرة جديده من الأنشودة العذبة على أزيز الرصاص فرقعة قنابل الغاز وصراخ الفتيان من هنا ومن هناك إنتبه إلتفوا حولهم من الشرق والتكبير والتهليل كانت مواجهة رائعة عبقت فيها أنوفنا رائحة الغاز المسيل للدموع لم ننتصر كما نحب بأن نجعلهم يتراجعون كثيرا أمام حجارتنا فلم نكن نستطع أن نقذفها حتى تصلهم فقد كانوا أجبن من أن يقتربوا ليكونوا في مرمى أيدينا ومن بعيد فقط كانوا يصوبون بنادقهم لتقتنص كل من يعرض نفسه لها خارجا من وراء مكمنه ولكننا حققنا بعض النجاحات فقد أشعلنا المنطقة حماسا وقطعنا الطريق عدة ساعات فعطلنا حركة مرور سياراتهم التي إعتادت أن تتحرك عبر هذه الطريق قادمة من أرضنا المحتلة منذ ٤٨ إلى الدوائر الحكومية في غزة والأجمل أننا أثبتنا أننا قادرون على الصدام والتحدي